أعمال البر والاحسان للأمراء في عصر دولة المماليك الجراكسة (في الفترة من ٧٨٤- ٩٢٣هـ/١٣٨٢-١٥١٧م)

د.شريفة بنت رده بن عطيه المالكي•

الملخص:

يهدف هذا البحث الى التعرف على جانب من الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به الأمراء في عصر دولة المماليك الجراكسة، وهو أعمال البر والإحسان، والوقوف على الأوجه التي كان من خلالها يقوم الامراء بالتقرب الى الله تعالى، وعمل الخير، وهو مسار بحثي مهم يهتم بإبراز جزء من حياة أمراء الدولة الجركسية بعيداً عن ما عرفوا به من أدوار سياسية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، أو ادوار عسكرية في الصراعات فيما بينهم او بينهم وبين جند السلطان، وكذلك أدوارهم في تأمين ممتلكات الدولة المملوكية المترامية، وغير ذلك من الجوانب السياسية والعسكرية التي أسهب المؤرخين في ذكرها، وقد انتهت الدراسة الى مجموعة من النتائج من أهمها: حرص الكثير من أمراء العصر الجركسي على القيام بأعمال البر والإحسان طمعاً في الثواب والتقرب الى الله.؛ أوضحت الدراسة تنوع مظاهر اعمال الخير التي كان يقوم بها امراء العصر الجركسى؛ كما لفتت الدراسة النظر نحو أحد الجوانب الإنسانية في حياة أمراء العصر الجركسي بعيداً عن الحياة القاسية التي كانت تحيط بهم وما كانوا يتعرضوا له من مؤامرات وغيرها؛ بينت الدراسة أن أعمال البر والإحسان لأمراء العصر الجركسي لم تكن تقتصر فقط على القاهرة باعتبارها العاصمة وإنما كانت في شتي ربوع مدن وقرى الدولة المملوكية؛ كما أوضحت الدراسة أن المنشآت ذات الطابع الخيري والديني التي انشأها أمراء العصر الجركسي لم تكن تقل في الحجم والأهمية عن تلك التي كان يقوم بها سلاطين الدولة المملوكية.

الكلمات الدالة:

المماليك الجراكسة - البر - حضارة - ركب الحج - الثواب - المنشآت الدينية - المنشآت الخيرية

• باحثة في التاريخ والحضارة الاسلامية – مكة المكرمة

يهدف هذا البحث الى التعرف على جانب من الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به الأمراء في عصر دولة المماليك الجراكسة، وهو أعمال البر والإحسان، وكذلك الوقوف على الأوجه التي كان من خلالها يقوم الامراء بالتقرب الى الله تعالى، وعمل الخير، وهو مسار بحثي مهم يهتم بإبراز جزء من حياة أمراء الدولة الجركسية بعيداً عن ما عرفوا به من أدوار سياسية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، أو ادوار عسكرية في الصراعات فيما بينهم او بينهم وبين جند السلطان، وكذلك أدوارهم في تأمين ممتلكات الدولة المملوكية المترامية، وغير ذلك من الجوانب السياسية والعسكرية التي أسهب المؤرخين في ذكرها.

ولعل ما دفعني الى تناول هذا الموضوع هو عدم وجود دراسة متخصصة تتناول هذا الجانب الاجتماعي من حياة امراء الدولة الجركسية، ورغبتي في إبراز هذا الجانب من خلال المصادر التاريخية المعاصرة وكذلك من خلال ما بقى من أعمالهم الخيرية شاهدا للعيان يحفظ لهم دورهم في الحياة الاجتماعية ويكشف أحد الجوانب الإنسانية في حياتهم.

حقيقة لقد كان لأمراء العصر الجركسي إسهامات واضحة في الحياة السياسية والإدارية والحضارية، فقد كانوا يحرصون على القيام بما كان يوكل إليهم من مهام إدارية والتى تنوعت ما بين تدبير امور الدولة وان يكونوا أصحاب الحل والعقد وإليهم ترجع أمور الولاية والعزل، حيث كان بعض السلاطين يفوضون أحد الامراء بتدبير شؤون الدولة[١]، أو في حالة صغر سن السلطان، فلم يكن للسلطان محمد بن ططر – على سبيل المثال –من السلطنة إلا مجرد الإسم فقط، إذ كانت أمور الولاية والعزل بيد الأمير برسباي[٢]، كما كان بعض الامراء يتولون نيابة بعض البلدان التابعة للسلطنة بتفويض من السلطان، فقد فوض السلطان قايتباي الأمير أزبك أمر البلاد الشامية والحلبية وجعل كما كان الامراء يتولون حفظ الأمن الغذائي في حالة غلاء الأسعار وجشع التجار[٣].

كما كان بعض الأمراء يتصفون بالقوة والشجاعة وكان يوكل إليهم حفظ امن الدولة داخلياً وخارجياً، والضرب على يد العابثين والمفسدين، فقد أرسل السلطان جقمق الأمير جانبك النوروزي إلى المدينة المنورة لقمع المفسدين بها[٤] ، وفى عام

١- مثلما فوض الملك المنصور أمير حاج إلى الأمير منطاش وجعله أتابك العسكر. الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٢٥٣.

٢- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٧٦-٧٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٢٢١.

٣- ومنها على سبيل المثال عندما وقع غلاء عظيم بمصر وقل الخبز في الأسواق رسم السلطان المؤيد شيخ أن يكون على كل فرن عدد من المماليك السلطانية. الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج٢، ص٢٥٦-٢٥٧؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٦٩-٧٠.

٤- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٦١.

٩٠٣هـ/١٤٩٧م أرسل السلطان الغوري الأمير قانصوه البرجي إلى الشام لتهدئة الأوضاع بها[٥].

ومن الأعمال الاستثنائية التي كُلف بها أمراء العصر الجركسي فتح السد وكسر الخليج، نيابة عن السلطان، ففى عام ٧٨٨هـ/١٣٨٦م رسم السلطان برقوق للامير قردم الحسني[٦]، والامير يونس الدوادار بأن يتوجها لفتح فم الخليج، فامتثلا للأمر السلطاني[٧]، وفى عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م رسم السلطان خشقدم للأمير جاني بك بأن يكسر الخليج[٨]، وغير ذلك من الامثلة.

ومن المهام التي كان يكلف بها أمراء العصر الجركسي إنشاء بعض المنشآت التي فيها نفع للعامة، أو إصلاح ما تعرض منها للهدم أو الخراب بأمر سلطاني، فعلى سبيل المثال انه في عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م انهدمت بيوت كثيرة وغرقت مواضع عديدة، بعد زيادة منسوب المياه في النيل، فعين السلطان برقوق عدد من الأمراء لسد مقاطع الماء لحفظ الجسور[٩]، وفى عام ٨١٨هـ/١٤١٥م رسم السلطان المؤيد شيخ للأمير سودون القاضي، والأمير كزل العجمي، بجرف ما تجدد من الرمال التي ظهرت عند إختراق النيل من عند الجامع الجديد الناصري، إلى الجامع الخطيرى، الذي ببولاق[١٠]، وفى عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠م سافر الأمير شاهين الطويل إلى جهة مكة المكرمة لحفر آبار المناهل، وكانت معطلة مدة من الوقت، وسافر معه جماعة من البنائين والحجارين[١١]، وفى عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م ورد خبر بأن سقف الكعبة الشريفة قد انجرف من الأمطار، فعين السلطان برسباي الأمير سودون المحمدي[١٢] لعمارة ذلك، وفى العام نفسه اهتم السلطان برسباي بأمر الجسور وأمر بإتقانها، فندب الأمير تمرباي، ومعه الوزير، واجتهد الأمير في ذلك[١٣].

٥- ابن اياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص٣٨٠، ٤١٤.

٦- كان مقدماً ثم خازنداراً كبيراً، مات في عام ٨١٤هـ. السخاوي الضوء اللامع، ج١، ص٢١٨، رقم ٧٢٤.

٧- الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص١٣٤؛ المقريزي، السلوك، ج٣، ق٣، ص٥٤٦.

٨- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٠٦.

٩- الصيرفى، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٧٤.

١٠- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٩.

١١- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص١٣٧.

١٢- الأمير سودون المحمدي: خدم السلطان المؤيد شيخ، تنقل في المناصب والرتب، توفي عام ٨٥٠هـ، كان ديناً خيراً. السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٨٥-٢٨٦، رقم ١٠٨٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج٥، ص١٢١-١٢٣.

١٣- ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٥٤٧.

كما كان لبعض الامراء الحق في تولية أمراء أو غيرهم على المناصب او إرسال حملات عسكرية بقيادة بعض الامراء، وذلك لما تمتعوا به من سلطة إدارية، فمنها على سبيل المثال أنه في عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م خلع الأمير يلبغا السالمي على الأمير الأبغا الدوادار، واستقر في نظر الأحباس، وفعل كذلك مع غيره من الأمراء[١٤]، وفى عام ٨١٥هـ/١٤١٢م ولى الأمير نوروز الحافظي الأمير يشبك الساقي نيابة قلعة حلب بعد مقت السلطان فرج بن برقوق[١٥]، كما أمر بعض الأمراء بالقيام ببعض الحملات العسكرية، ففي عام ٧٩١هـ/١٣٨٨م عين الأمير يلبغا الناصري على لسان السلطان برقوق تجريدة عسكرية من اربعين أميراً ليهجموا على عربان الشرقية[١٦]، وغير ذلك من الأمثلة، كما كان بعض الأمراء الجراكسة يخرجون على رأس التجريدات العسكرية بامر من السلطان لقتال بعض الامراء الخارجين عن الطاعة او قتال الأعداء.

وعمل بعض الامراء الجراكسة على ضرب الدنانير أو إبطالها، ففي عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م ضربت فلوس بسفارة الأمير جركس الخليلي في قلعة الجبل وجعل اسم السلطان برقوق في حلقة، فلم تعجب السلطان برقوق وأمر بإعادة ضربها[١٧]، وأمر الأمير يلبغا السالمي في عام ٨٠٣هت/١٤٠٠م بضرب دنانير من الذهب محررة الوزن وإلغاء التعامل بالدنانير الإفرنتية المشخصة فضرب الدينار السلامي وتعامل الناس به[١٨].

كما كان الأمراء الجراكسة يخرجون بالتقاليد والخلع إلى الأمراء في محل ولايتهم، فمثلاً في عام ٧٨٦هـ/١٣٨٤م توجه الأمير كمشغا الأشرافي بخلعة إلى الأمير قرا بلاط الاحمدي نائب البحيرة بأن يستقر في نيابة ثغر الاسكندرية[١٩]، كما كان بعض الامراء الجراكسة يكلفون بالقبض على أمراء آخرين وإنزال العقوبة بهم أو بغيرهم من موظفي الدولة، بأمر سلطاني، ففي عام ٨٠٧هـ/١٤٠٤م سُلم الأمير يلبغا السالمي إلى الأمير جمال الدين الإستادار، فرسم أن يعاقب بالضرب المبرح[٢٠]، وغير ذلك من الأمثلة[٢١].

١٤- الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٢٣٠.
١٥- السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص٢٧٦.
١٦- الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١،ص ٢٣١-٢٣٢٠.
١٧- الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص١٣٤.
١٨- ابن اياس، بدائع الزهور، ج١-٢، ص٦٠٦، ٦٢١.
١٩- ابن اياس، بدائع الزهور، ج١-٢، ص٣٥٥.
٢٠- ابن اياس، بدائع الزهور، ج١-٢، ص٧٢١.
٢١- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٣٩٠؛ ج٣، ص١٢٩.

كما كان بعض الأمراء يخرجون لاستقبال ضيوف السلطان من الأمراء وغيرهم، ففي عام ٧٨٥هـ/١٣٨٣م قدم الأمير يلبغا الناصري نائب حلب، فلما وصل إلى بلبيس خرج الأمير سودون نائب السلطنة لاستقباله، فصعد به الى السلطان برقوق، فقبل الأرض، ثم أنلوه في دار أعدت له[٢٢]، وغير ذلك من الامثلة التي تؤكد ذلك الدور الذى كان يقوم به امراء الجراكسة[٢٣].

وغير ذلك من المهام والامور التي كان يقوم بها امراء العصر الجركسي كخروجهم في ركب الحج، او يتولون كسفراء لبلادهم الى ملوك الدول المجاورة في بعض المهام، على ان اهم الاعمال التي تنسب الى أمراء العصر الجركسي هو قيامهم بالكثير من الأعمال الخيرية.

فقد ازدهرت أعمال البر في عصر دولة المماليك الجراكسة، حيث دأب الكثير من الأمراء على البذل والانفاق في سبيل الله، رغبة في الأجر والثواب، أو لكسب العامة من الناس، أو حباً في الظهور والمباهاة[٢٤]، وقد كانت هذه الاعمال إما في شكل عيني او نقدي، ومن الأمثلة التي تذكرها النصوص التاريخية: أنه في عام ٧٨٤هـ/ عزم جماعة من أهل دمشق على التوجه الى الحجاز فأرسل معهم نائب الشام قمحاً ليفرق هناك، فقصدوا المدينة أولاً ثم مكة[٢٥].

وفى عام ٧٨٧هـ/ أرسل الأمير جاركس الخليلي[٢٦] قمحاً كثيراً الى الحرمين الشريفين ليعمل منه كل يوم خمسمائة رغيف لمكة ومثلها لمدينة وكذلك في القاهرة، وكان لذلك أثر طيب في نفوس اهل المدينتين[٢٧].

٢٢- ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ص٢٦.

٢٣- الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٣٢٢؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج١، ٢، ص٤٨٨.

٢٤- محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك وانتاجه العلمي والأدبي، ملزم للطبع والنشر، ط١، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ج١، ص٣١٠.

٢٥- عبدالرحمن مديرس المديرس، المدينة في العصر المملوكي، ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص١٢٧.

٢٦- جاركس الخليلي: أمير أخور الظاهر برقوق وعظيم دولته، مات في عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٨م في الواقعة التي حدثت بشقحب بين الناصري ومنطاس. ابن تغري بردي(جمال الدين ابو المحاسن يوسف الأتابكي ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق محمد شلتوت، القاهرة، مكتبة الخانجي، د.ت، ج١، ص٢٣٣؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، لجنة إحياء التراث الاسلامي، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج١، ص٣٨٥.

٢٧- المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٢م، ج٣، ق٣، ص٥٣٦؛ الصيرفي، الخطيب علي بن داوود، نزهة النفوس، تحقيق حسن حبشي، مطبعة دار الكتب،

وكان الأمير شيخ نائب الشام يبعث في كل عام الى مكة والمدينة مئتا قميص، مثبت على كل قميص عشرة دراهم فضة، تفرق على الفقراء والأيتام[٢٨]، وتصدق الأمير خاير بك بن بلباي[٢٩] بعشرة ألاف إردب من القمح وأمر بتفرقتها على مجاوري الأزهر وعلى الفقراء[٣٠]، وأحسن الأمير تاني بك البجاسي[٣١] الى الحجاج في عام ٨٢٧هـ/ حيث لقى الحجاج مشقة عظيمة بسبب الرياح التي هبت عليهم بحوران[٣٢] فخرج اليهم بنفسه ومعه انواع الزاد حتى البغال وفرق ذلك عليهم وحصل بذلك النفع للغني والفقير[٣٣]، وللأمير قاني باي الرماح[٣٤] أعمال بر ومآثر عظيمة فقد قدم مساعدة للحجاج والفقراء الذين خرجوا للحج، حيث أرسل لهم الإبل والمؤنة، وبعث اليهم الملابس والطعام والماء العذب[٣٥]، وفى عام ٨٧٥هـ/ عاد الحجاج مجهودين مكدودين

١٩٧٠م، د.ت، ج١، ص١٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج١، ص٣٨٥؛ عبدالرحمن مديرس المديرس، المدينة في العصر المملوكي، ص١٢٦.

٢٨- ابن اياس، محمد بن أحمد (ت٩٣٠هـ/١٥٢٤م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ٢، ص٧١٨؛ عبدالرحمن مديرس المديرس، المدينة في العصر المملوكي، ص١٢٦.

٢٩- الأمير خاير بك بلباي: المعروف بملك الأمراء، كان نائباً على مصر، تنقل في المناصب والإمارات، كان سبباً في نهاية دولة المماليك على يد العثمانيين، مات في عام ٩٢٨هـ/. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٤٤١؛ ج٤، ص٣: ٢٠؛ ج٥، ص٤٧٨.

٣٠- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٤٨٠.

٣١- الأمير تاني بك البجاسي: نائب حماة ثم حلب ثم دمشق من قبل الأشرف برسباي، قتل في عام ٨٢٧هـ/ . ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٢١٤، ٧٥٤؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٩١؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج٣، ص٣٣٣-٣٣٤.

٣٢- حوران.

٣٣- السخاوي، شمس الدين محمد عبدالرحمن الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت، ج٣، ص٢٦؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج٣، ص٣٣٤.

٣٤- الأمير قاني باي الرماح: من مماليك السلطان قايتباي، تعلم القرآن وأحكام الدين وآداب الشريعة في الطباق ..... في عام ٩٢١هـ/ .ابن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٥٠-٤٥١.

٣٥- سامي أحمد عبدالحليم، أثار الأمير قاني باي قرا الرماح بالقاهرة، دكتوراه، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٥م، ج١، ص٢٦.

لقلة الماء وموت الإبل، فبعث إليهم الأمير يشبك[٣٦]، بزاد وماء ومؤنة، فحصل بذلك غاية النفع[٣٧].

وفى عام ٩٢٢هـ/ تصدق الأمير طومان باي[٣٨] على الفقراء بمبلغ له صورة ورسم بقراءة ختمان في جميع الأسواق وقال: ادعو للسلطان بالنصر[٣٩].

كما حرص الأمراء في ذلك العصر على الإنشاء والتعمير، وخاصة المنشآت الدينية والتعليمية والاجتماعية، التي تعود بالنفع والفائدة على العامة، وقد حرصوا على اتقان بنائها وفخامتها، نظراً لحبهم لتشييد وتخليد أسمائهم عليها.

أولاً: المنشآت الدينية:

من هذه العمائر: المساجد والجوامع، ومنها على سبيل المثال:

- جامع الأمير أزبك في الأزبكية، فقد قرر فيه صوفية ومدرسين، وقراء، وعمل فيه خزانة لكتب العلم[٤٠].
- جامع الأمير تغري بردي برمش[٤١]ساحل بولاق[٤٢].
- أنشأ الامير قاني باي قراجا مسجدين الأول تجاه سوق الخيل، والثاني، بجوار البركة الناصرية[٤٣]

٣٦- الأمير يشبك بن مهدى الظاهري جقمق، ترقي في الأمارة، وتولى عدد من الوظائف النيابات قربه السلطان قايتباي، قتل على يد أحد أمراء يعقوب حسن باك سنة ٨٨٥هـ. ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١٧٠-١٧٧.

٣٧- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص٥١-٥٢.

٣٨- الأمير طومان باي: من مماليك السلطان قايتباي، تدرج في المناصب، وهو الذي حكم مصر بعد السلطان الغوري، قتل على يد العثمانيين.

٣٩- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٦٦.

٤٠- السخاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٢٧٢، رقم٨٤٤.

٤١- الأمير تغري برمش الشبلي: تنقل في المناصب والإمرة مات في عام ٨٥٤هـ/ . السخاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٤-٣٥، رقم١٤٥؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج١، ص٦١٨-٦١٩، رقم٦٦.

٤٢- السخاوي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٥.

٤٣- بن اياس، بدائع الزهور، ج٤، ص٤٥١؛ محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، ج١، ص٢٢٧-٢٢٨.

- جامع الامير قجماس الإسحاقي[٤٤] بالإسكندرية[٤٥] وخصصة للجمعة والجماعات[٤٦].

ثانياً: المنشآت التعليمية:

أنشأ بعض الأمراء المدارس وألحقوا بها المكتبات وزودوها بالكتب العلمية لتسهيل العلم، وقرروا عليها المدرسين باختلاف مذاهبهم، منها على سبيل المثال:

- المدرسة الجمالية أو المحمودية، أنشأها الأمير جمال الدين محمود الأستادار عام ٧٩٧هـ/ ورتب بها جدول العمل من حيث توالى درس الفقه بالمذاهب الأربعة، ودروس الحديث والتفسير، وقد وصفها المقريزي بقوله: " من أحسن مدارس مصر"[٤٧]، وله مدرسة أخرى برحبة باب العيد أنشأها في عام ٨١٠-٨١١هـ/، وجمع لها الكتب واشترى الكثير منها من مكتبة المدرسة الأشرفية بعد هدمها[٤٨].
- المدرسة الأيتمشية: أنشأها الأمير أيتمش البجاسي سنة ٧٨٥هـ/ .، جعل بها درس فقه للحنفية، وحوض سبيل ومصلى للأموات ، وهى مدرسة ظريفة[٤٩].

٤٤- الأمير قجماس الإسحاقي: أحد أمراء الظاهري جقمق، نائب الشام، تنقل في الولايات، وترقى في المناصب، مات في عام ٨٩٢هـ/ ،كان ديناً خيراً. السخاوي، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٣، رقم٧٠٦ابن اياس.

٤٥ - الإسكندرية: هي مدينة عظيمة، تقع بشمال مصر، وتتبع الإقليم الثالث، وهي تنسب إلى الإسكندر الأكبر المقدوني، وهناك ثلاث عشرة مدينة بنفس الاسم، وتشتهر بمينائها، وثغرها، وتعد ثاني أكبر المدن المصرية بعد القاهرة، وأردا عمرو بن العاص أن يجعلها عاصة لمصر بعد الفتح الإسلامي لولا رفض الخليفة عمر. للمزيد ينظر ياقوت الحموي (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ج ١، ص ص ١٨٢ -١٨٩؛ المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٨ م، ج ١، ص ٤٠٦-٤٢٣.

٤٦- السخاوي، المصدر السابق، ج٦، ص١٣.

٤٧- المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، حققه ايمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٤، ق٢، ص٥٩٠-٥٩٤؛ عبدالرحمن ذكي، موسوعة القاهرة في ألف عام، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ص١٦٨.

٤٨- المقريزي، الخطط، ج٤، ق٢، ص٦٣٦.

٤٩- المقريزي، الخطط، ج٤، ق٢، ص٦٢٧.

- مدرسة الأمير إينال[٥٠] للقرآن الكريم، أنشأها عام ٧٩٤هـ/ ، وجعل فيها قراء يتناوبون قراءة القرآن على قبره، وقد توفى قبل الانتهاء من انشائها[٥١].
- مدرسة الأمير قجماس الإسحاقي، وهى مدرسة هائلة للجمعة والجماعات، جعل بها قارئاً للبخاري، ونقل ما كان قرده من التصوف بالجامع الازهر إليها.[٥٢]
- مدرسة الأمير قاني باي الرماح بالقلعة، رتب فيها مكتباً لتاديب الأيتام، وعين مؤدب وعريف يعلم الأيتام القرآن الكريم، والخط العربي، والأحاديث النبوية، وقرر للأيتام المرتبات الشهرية، والصدقات السنوية، من كسوة ولحوم[٥٣]،
- مدرسة الأمير عبدالغني الفخري[٥٤] بالقاهرة، خصصت لتدريس ثلاثة مذاهب (الشافعي والحنفي والمالكي) وبها طباق للصوفية[٥٥].

ولم يقتصر الأمراء على تشييد الجوامع والمساجد والمدارس، بل حرصوا على إنشاء كل ما فيه نفع وفائدة للعامة، كالأربطة والأسبلة، والخانقاوات، والتى منها على سبيل المثال:

٥٠- الأمير إينال سيف الدين اينال اليوسفي، تدرج في المناصب، توفى في عام ٧٩٤هـ/ .ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص١٧٢، رقم٦١٤؛ ابن حجر العسقلاني، أبناء العمر، ج١، ص٤٤١.

٥١- المقريزي، الخطط، ج٤، ق٢، ص٦٣٣.

٥٢- السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٣-٢١٤.

٥٣- سامي أحمد عبدالحليم، آثار الأمير قاني باي الرماح قرا، ج١، ص٥٧.

٥٤ - الأمير عبدالغني الفخري: هو الأمير فخر الدين عبد الغنى بن عبدالرازق أبى الفرج بن نقولا بن الوزير تاج الدين، أرمني الأصل، كان جده أرمنياً تابعا لابن نقولا الكاتب فنسب إليه، وهو أول من أسلم من أبائه، ونشأ ولد عبدالرازق مسلماً، وتقلب في جملة وظائف إلى أن ولى الاستدارية والوزارة، ولد الأمير عبدالغني في سنة ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م، وتعلم بمصر، وتدرج في العديد من الوائف خلال فترة تولى والده الوزارة، فعين كشافاً للشرقية، وفى سنة ٨١٤ هـ / ١٤١١ م تولي وظيفة استدار، وعين كشافاً للوجه البحرى في عهد المؤيد شيخ، وتوفي ٨٢١ هـ / وعمرة سبع وثلاثون عاماً، ودن بمدرسته.
السخاوي، المصدر السابق، مج ٢، ج ٤، ص ٢٥٠؛ على باشا مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلاده القديمة والشهيرة، طبعة مصورة عن الطبعة الثانية بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ م، ج ٤، ص ١٤٠.

٥٥- محمد محمد الكحلاوي، مدرسة الأمير عبدالغنى الفخرى، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٠ م، ص؛ حسني محمد نويصر، العمارة الإسلامية في مصر في عصر الأيوبيين والمماليك، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، د.ط، د.ت، ص٣٧٠-٣٧٥.

بنى الأمير قجماس الإسحاقي على البحر رباطاً وجعل له أسبلة[٥٦] ، ومن الأسبلة كذلك: صهريج وسبيل للماء في رأس حارة برجوان[٥٧]، أنشأها الأمير طوغان الحسني[٥٨]، وانشأ الأمير قاني باي الرماح الكثير من الأسبلة بالقاهرة وضواحيها، حيث كان يصب بها الماء العذب[٥٩].

وأنشأ الأمير عبدالغني الفخري سبيلاً للمارة والمصلين بالقرب من مدرسته[٦٠]، كما أنشأ الامير تمرباي التمرباوي[٦١] سبيلين، الاول: في سرياقوس[٦٢] ، والثاني: بمكة المكرمة[٦٣]، وأنشأ الأمير جانم السيفي سبيلاً ومكتباً للأيتام في حلب[٦٤].

ومن الخانقاوات التي تم انشاؤها من قبل بعض الأمراء والتي كانت تجمع بين الجامع والمدرسة والضريح:

- خانقاة الأمير يونس النوروزي خارج باب النصر، جعل بجانبها مكتباً يقرأ فيه أيتام المسلمين كتاب الله، وبنى صهريجاً لنقل ماء النيل إليه[٦٥].

٥٦- السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٣.

٥٧- حارة برجوان: خى حارة منسوبة إلى أبوالفتوح برجوان الخادم، وكان خصياً أبيض تام الخلقة، ربي في دار الخليفة العزيز بالله، وولاه أمر الفصور، ووصاه العزيز بالله على ابنه الامير أبي منصور، فبعد وفاة العزيز وتولى ابنه منصور، قام أبو محمد الحسم بن عمار الكتامي بتدبير أمور الدولة، وكان ينازعه برجوان، حتى تولي تدبير الأمور سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وصار الوسيط بين الخليفة والناس، واستتب له الحال، حتى أصبح يقصر في الخدمة، وعكف على سماع الغناء، وأساء الأدب مع الخليفة الحاكم، فقتله سنة تسعين وثلاثمائة، ووجد بخزائنه الكثير، للمزيد ينظر: المقريزي، تقى الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٨ م، ج ٢، ص ٣٧٣-٣٧٤.

٥٨- ابن حجر العسقلاني، ابناء الغمر، ج٣، ص٨١.

٥٩- سامي أحمد عبدالحليم، آثار الأمير قاني باي الرماح قرا ، ص٥٨.

٦٠- حسنى محمد نويصر، المرجع السابق، ص٣٧٥.

٦١- الأمير تمرباي التمرباوي: تنقل في الوظائف، وأصبح أمير طبلخاناه في عهد السلطان يوسف بن برسباي، مات بالطاعون في عام ٨٥٣هـ/ . السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٩، رقم١٦٢.

٦٢- تعريف سرياقوس: تقع بالقرب من الخانكاه الحالية الخانقاه قديماً، وأنشئ به الملك الناصر محمد بن قلاوون ميدان كبير عام ثلاث وعشرين وسبعمائة، وشيد به العديد من القصور والمنازل للأمراء، وبستان جميلاً حضر اليه الأشجار والفاكهة، وتم بناءه عام خمس وعشرين وسبعمائة، فخرج إليه السلطان والأمراء وسكنوه، وأصبحت عاده كل عام حتى أوقفت على يد السلطان برقوق عام تسع وتسعين وسبعمائة.
المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ص ٣٠ – ٣١.

٦٣- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٩.

٦٤- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٦٤.

٦٥- المقريزي، الخطط، ج٤، ق٢، ص٧٨٨-٧٩٠.

- خانقاة أنشأها الامير جانبك الأشرفي خارج باب زويلة[٦٦].
- عمر الامير تنم الحسني خاناً للسبيل في دمشق[٦٧].

هذه المنشآت كانت تحتاج إلى دعم لضمان استمراريتها، لهذا أوقفوا عليها الاوقاف، ومن الأمثلة على ذلك:

- الجامع الذي أنشأه الأمير مرداش في حلب وأوقف عليه اوقافاً كثيرة، كما أنشأ زاوية في طرابلس وأوقف عليها الاوقاف الكثيرة[٦٨].
- وأنشأ الأمير لاجين السيفي جامعاً بالجسر الأعظم، وجعل عليه أوقافاً جمة[٦٩].
- أنشأ الأمير تغري بردي الكشمبغاوي جامعاً في حلب وأوقف عليه أوقافاً وقرر فيه مدرسين شافعي، وحنفي[٧٠].
- وعمر الأمير تغري بردي الرومي مدرسة حسنة وجعل فيها خطبة ومدرساً وشيخاً وصوفية، وأوقف عليها أوقافاً كثيرة[٧١].
- وبنى الأمير قانباي المحمدي مدرسة برأس سويقة منعم، وقدر بها مدرسين للشافعية والحنفية، وأوقف لها وقفاً جيداً[٧٢].
- وأنشأ الأمير قراقجا الحسني مدرسة وجامعاً، وبنى أملاكاً جعلها وقفاً عليها[٧٣]، وللأمير قاني باي قرا أوقافاً متعددة على الاماكن المقدسة بمكة والمدينة كما خصص اموال كثيرة من ريع وقفه تصرف على عمارة الأبنية المختلفة، والدور والعقارات وغيرها[٧٤].

وحرص بعض الأمراء على تجديد بعض العمائر الدينية والتعليمية رغبة في مزيد من الأجر والثواب، منها على سبيل المثال:

٦٦- المقريزي، الخطط، ج٤، ق١، ص٣٥٦.

٦٧- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٤٤-٤٥؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج٢، ص١١٩.

٦٨- ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر، ج٣، ص٨١.

٦٩- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٠.

٧٠- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٩٠.

٧١- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٢٧، ٢٨.

٧٢- السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٦.

٧٣- السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٦.

٧٤- سامي احمد عبدالحليم، آثار الأمير قاني باي قرا، ج١، ص٥٥-٥٩.

- جدد الأمير قجماس الإسحاقي مدرسة في الشام، وقرر فيها صوفية، وعمل بجانبها مطبخاً للدشيشة[٧٥].

- وجرت على يد الأمير تغري بردي بن بلبان مبرات وأشياء جزيلة، فقد جدد بعض المساجد والجوامع والزوايا[٧٦].

- جدد الأمير قانى بك العلائي مسجداً قديماً في القاهرة، وأوقف عليه ربعاً لطيفاً[٧٧].

- وأكمل الأمير عبدالغني الفخري الرباط الذي أمر بإنشائه تقى الدين عبدالوهاب[٧٨] بمكة المكرمة مقابل المسجد الحرام الى جانب حبهم لتشييد العمائر الدينية والتعليمية[٧٩].

كما كان لبعض الامراء أعمال تشهد على حبهم للغير والتقرب الى الله تعالى منهم على سبيل المثال:

- الأمير يلبغا السالمي عرف عنه كثرة العبادة من الصلاة والصوم والصدقة فقد كان يخرج من كثرة الصدقة عن الحد، كان له في كل ثلاثة أيام قتمة.

- كان الأمير تمراز الشمسي[٨٠] متوداً للعلماء باراً بالفقراء، كثير الصدقة محسناً للناس[٨١]، وعرف الامير سيف الدين بهادر[٨٢] بإحسانه للفقراء والصلحاء والغرباء، وله صدقات كثيرة وبر وافر[٨٣]، وكان الامير أقبغا التمرازي[٨٤]، نائب الشام متهجداً متعبداً كثير الصدقات والمحبة في الصلحاء والعلماء[٨٥]، والامير قانم التاجر

---

[٧٥]- السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢١٣.

[٧٦]- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٠-٣١.

[٧٧]- السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٩٧-١٩٨.

٧٨- الشيخ تقى الدين عبدالوهاب بن ابي شاكر.

٧٩- السخاوي ، الضوء اللامع، ج٤، ص٢٥٠.

٨٠- الامير تمراز الشمسي برسباي العزيزي، تنقل في الوظائف وسار في عدد من التجريدات، مات عام ٨٩٢هـ/ . السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٦-٣٨، رقم ١٥٢.

٨١- السخاوي، الضوء اللامع، ج٣، ص٣٨؛ ابن اياس، بدائع الزهور ، ج٣، ص٣٧٤.

٨٢- الأمير سيف الدين بهادر بن عبدالله المنجكي تولى الإستدارية في عهد السلطان برقوق، كان ذو عقل وسياسة وتدبير، مات في عام ٧٩٠هـ/ . ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج١، ص٢٠١، رقم ٧٠٨؛ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، د.ت، ج١١، ص٣١٦.

٨٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣١٦.

٨٤- الأمير أقبغا التمرازي، نائب الشام ترقى في المناصب والإمارت، مات في عام ٨٤٣هـ/ بعد أن سقط عن فرسه. السخاوي، الضوء اللامع ، ج٢، ص٣١٦-٣١٧، رقم١٠١٢.

[٨٥]- السخاوي، الضوء اللامع ، ج٢، ص٣١٧.

المؤيدي[٨٦]، كثير المال ساعياً في الخير معيناً على قضاء الحوائج[٨٧]، وعرف عن الامير قاني باي الرماح كثرة الصدقات على فقراء المسلمين وخاصة فقراء الحرمين، واشترط ان يصرف من ريع أوقافه على الفقراء والمجاورين بالجامع الازهر الشريف، وتوزيع الخبز والماء العذب عليهم[٨٨]، وكان الأمير أركماس الطويل[٨٩]، خيراً باراً بالأيتام[٩٠]، كما وصف المؤرخين الأمير جانبك الدويدار بأنه كثير البر للفقراء[٩١]، كما كان الامير يشبك الساقي من خيار الأمراء، محباً في الحق وفى أهل الخير، كثير الديانة والعبادة كارهاً لكثير من الأمور، التي تقع على خلاف مقتضى الشرع[٩٢].

---

[٨٦]- الأمير تانم التاجر من مماليك السلطان شيخ، ترقى في الوظائف، مات ٨٧١هـ/ . السخاوي، الضوء اللامع ، ج٦، ص٢٠٠-٢٠١، رقم٦٩٥.

٨٧- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٤٣٢؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص٢٠١.

٨٨- سامي احمد عبدالحليم، آثار الأمير قاني باي الرماح قرا ، ج١، ص٢٦.

٨٩- أركماس الطويل اليشبكي، قربه السلطان جقمق والسلطان اينال مات في عام ٨٤٤هـ/ . السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ج٢، ص٢٦٨-٢٦٩، رقم٨٣٥.

٩٠- السخاوي، الضوء اللامع، ج٢، ص٢٦٨.

٩١- ابن اياس، بدائع الزهور، ج٥، ص٤٨٠.

٩٢- ابن حجر العسقلاني، أنباء الغمر، ج٣، ص٤١٧.

الخاتمة والنتائج

تناولت هذه الدراسة جانب مهم من الأدوار الاجتماعية التي كان يقوم بها الأمراء في عصر دولة المماليك الجراكسة، وهى أعمال البر والإحسان، و التي كان من خلالها يقوم الامراء بالتقرب الى الله تعالى، وعمل الخير، بعيداً عن ما عرفوا به من أدوار سياسية سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، أو ادوار عسكرية في الصراعات فيما بينهم او بينهم وبين جند السلطان، وكذلك أدوارهم في تأمين ممتلكات الدولة المملوكية المترامية، وغير ذلك من الجوانب السياسية والعسكرية التي أسهب المؤرخين في ذكرها، وقد انتهت الدراسة الى مجموعة من النتائج من أهمها:

- أكدت الدراسة على حرص الكثير من أمراء العصر الجركسي على القيام بأعمال البر والإحسان طمعاً في الثواب والتقرب الى الله.
- أوضحت الدراسة تنوع مظاهر اعمال الخير التي كان يقوم بها امراء العصر الجركسى.
- لفتت الدراسة النظر نحو أحد الجوانب الإنسانية في حياة أمراء العصر الجركسي بعيداً عن الحياة القاسية التي كانت تحيط بهم وما كانوا يتعرضوا له من مؤامرات وغيرها.
- بينت الدراسة أن أعمال البر والإحسان لأمراء العصر الجركسي لم تكن تقتصر فقط على القاهرة باعتبارها العاصمة وإنما كانت في شتي ربوع مدن وقرى الدولة المملوكية.
- أوضحت الدراسة أن المنشآت ذات الطابع الخيري والديني التي انشأها أمراء العصر الجركسي لم تكن تقل في الحجم والأهمية عن تلك التي كان يقوم بها سلاطين الدولة المملوكية.

Acts of righteousness and charity to princes in the era of the Mameluke state of Gircassians

(From 784 to 923 e / 1382-1517)

Dr.Sherifa bint Rida bin Attia al - Maliki•

Abstract:

This research aims to identify part of the social role played by the princes in the era of the Mamluk state of Gircassians, which is the work of righteousness and charity, and to identify the aspects by which the princes approach God and the work of goodness, which is an important research path that focuses on highlighting the part From the life of the princes of the Jirkas state away from their political roles, both internally and externally, or military roles in conflicts between themselves or between them and the soldiers of the Sultan, as well as their roles in securing the property of the Mamluk state and other political and military aspects that Historians in y The study concluded with a number of results, the most important of which are: The keenness of many of the princes of the Jerksian era to perform the work of righteousness and charity in the hope of reward and closeness to God. The study showed the diversity of the manifestations of good deeds that were carried out by the princes of the age of the Jirksi; One of the human aspects of the life of the princes of the age of the Gircassian away from the harsh life that surrounded them and were exposed to plots and others; the study showed that the work of charity and the princes of the era of the era of the Gircassian were not limited to Cairo only as the capital, but was in the various cities and villages of the Mamluk state ; The study

• **Researcher in History and Islamic Civilization - Makkah**

also pointed out that the charitable and religious establishments established by the princes of the Gregorian era were no less important in size than the sultans of the Mamluk state.

Key words:

Mamluks of the Circassians, the civilization, the pilgrimage, the reward, the religious establishments, the charitable institutions